سلسلة ترجمات الزيتونة (74)

الشرق الأوسط
خرائط جديدة تُرسم

ألوف بن وفرانك جاكوبس وباراج خانا ورالف بيترز

Aluf Benn, Frank Jacobs, Parag Khanna & Ralph Peters

المصادر

جريدة هآرتس **Haaretz**

جريدة النيويورك تايمز **The New York Times**

مجلة فورين بوليسي **Foreign Policy**

آرمد فورسز جورنل **Armed Forces Journal**

كانون الثاني/يناير 2013

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الشرق الأوسط: خرائط جديدة تُرسم

المقال الأول: تحذير: الشرق الأوسط في مرحلة الإعمار
العنوان الأصلي: Caution: Middle East under Construction
الكاتب: ألوف بن Aluf Benn
المصدر: جريدة هآرتس *Haaretz*
التاريخ: 2011/3/25

المقال الثاني: العالم الجديد
العنوان الأصلي: The New World
الكاتب: فرانك جاكوبس Frank Jacobs و باراج خانا Parag Khanna
المصدر: جريدة النيويورك تايمز *The New York Times*
التاريخ: 2012/9/22

المقال الثالث: الانفصال قد يكون مفيداً
العنوان الأصلي: Breaking Up Is Good to Do
الكاتب: باراج خانا Parag Khanna
المصدر: مجلة فورين بوليسي Foreign Policy
التاريخ: 2011/1/13

المقال الرابع: مقتطفات من مقال حدود الدم: كيف سيبدو الشرق الأوسط بحالته الأفضل؟
المترجم: علي الحارس (شبكة عراق المستقبل)
العنوان الأصلي: Blood borders: How a better Middle East would look
الكاتب: رالف بيترز Ralph Peters
المصدر: آرمد فورسز جورنل Armed Forces Journal
التاريخ: يونيو 2006

* * *

مقدمة المترجم

تقسيم المقسم وتفتيت المفتت هو ما تتنبأ به أربع مقالات صدرت في الآونة الأخيرة. فبعد برنارد لويس وخريطته المقترحة في سنة 1979 لإعادة تقسيم المنطقة، جاء رالف بيترز ليكمل المسير وثم تبعه باراج خانا وتنبأ بتقسيمات أخرى...

هذا العدد يحوي أربع مقالات تناقش كيفية إعادة رسم خريطة أجزاء من العالم.

في المقال الأول يقول ألوف بن وهو رئيس تحرير جريدة هآرتس الإسرائيلية أنّ الانتفاضات الشعبية المتصاعدة، والصراعات الداخلية الطاحنة ستؤدي إلى إعادة رسم خرائط إقليمية، والتي ستكون بعيدة كل البعد عن اتفاقية سايكس بيكو وغيرها من الاتفاقات.

أما المقال الثاني فلقد استعرض المؤلف الأمريكي فرانك جاكوبس، وباراج خانا المؤلف الهندي الأمريكي والخبير في العلاقات الدولية، خرائط واضحة لما يمكن أن تكون أحدث معالم الحدود الدولية حول العالم؛ دولة للعلويين، واتحاد الخليج العربي، وكردستان المستقلة، وأذربيجان الكبرى، وباشتونستان وبلوشستان...

وفي المقال الثالث يقول باراج خانا أن انقسام جنوب السودان هو مجرد بداية، وأنه من الممكن أن يشهد العالم قريباً 300 دولة مُستقلة ذات سيادة، وأنه لا ضير في ذلك!

أما المقال الرابع، فهو عبارة عن مقتطفات عن نظرية لتقسيم المنطقة وضعها الجنرال المتقاعد رالف بيترز. إذ يرى أن الخريطة الجديدة ستحلّ بعضاً من مسائل "الحدود الفاسدة" وستعوّض "المجموعات البشرية المخدوعة"...

إنه من اللافت للنظر صدور هذه المقالات في حقبة زمنية تشهد تغييرات جذرية في المنطقة.. وبالتالي يجدر بمراكز الأبحاث أن تتابع هكذا طروحات، للتحقّق من مدى جديتها في الفكر الصهيوني والغربي، وفي مسارات عملها الاستراتيجي.

المقال الأول: تحذير: الشرق الأوسط في مرحلة الإعمار

ألوف بن

إنّ نضال العقيد الليبي معمر القذافي، والرئيس السوري بشّار الأسد، ونظرائهم في كل مكان للبقاء على قيد الحياة يبشر بنهاية اتفاقية سايكس بيكو من الحرب العالمية الأولى، تلك الاتفاقية التي قسّمت عملياً منطقة الشرق الأوسط إلى دول منفصلة. أما الآن، فبات واضحاً أنّ الخريطة التي ستُرسَم خلال الأعوام المقبلة سوف تكشف النقاب عن دول مستقلة جديدة أو متجددة، مثل جنوب السودان، وكُردستان، وفلسطين، وربما برقة (سيرينايكا) في شرق ليبيا أيضاً، والصحراء الغربية التي ستنفصل عن المغاربة، ومنطقة جنوب اليمن التي أُعيد تشييدها، والدول الخليجية التي ستنفصل عن دولة الإمارات العربية المتحدة. حتى من الممكن أن يكون هناك انقسام داخل المملكة العربية السعودية بين "دولة الأماكن المقدسة" في الحجاز، ودولة الثروات النفطية في المنطقة الشرقية، كما سيكون عليه الحال في سورية حيث ستتكوّن دولة للسُنّة، ودولة أخرى للعلويين ودولة للدروز. وستقوم هذه التقسيمات على أساس تطبيق مبدأ تقرير المصير للأمم والقبائل، والتي وجدت نفسها حتى الآن، وإن مُكرهة ولا بدائل لديها، في ذات البوتقة الوطنية مع أخصامها.

إن سياسة "إسرائيل" الخارجية، حتى ما قبل قيام الدولة، كانت دائماً قائمة على منافستها للعرب والمسلمين في الجوار. كما أنّ الوحدة العربية الإسلامية تقوم إلى حدّ كبير على العدائية لـ"إسرائيل" التي فضلت نزعة الانعزالية والقومية عن دول الجوار. فكلما ازداد عدد الدول في المنطقة، كلما سهل على "إسرائيل" في المناورة بينها.

لقد تمّ تحديد حدود منطقة الشرق الأوسط بين سنتي 1916 و1922 في خضم مفاوضات شملت قوى أوروبية، حيث تمّ إجراء هذه المفاوضات في أروقة قصور مهيبة بين مسؤولين يرتدون بدلات رسمية وربطات عنق. غير إنّ هذه الحدود يتم إعادة رسمها في القرن الواحد والعشرين لكن على أسس القوة، والحروب، والانتفاضات الشعبية. بدأ هذا التوجه مع غزو القوات الأمريكية للعراق قبل ثمانية أعوام، حيث قامت بسحق النظام المركزي فارضةً إنشاء جيوب عرقية. بعد ذلك، أتى الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة، والذي أدى بدوره إلى قيام حركة حماس بفرض سيطرتها وبالتالي، إقامة دولة الأمر الواقع. من ثم جاء الاستفتاء على مسألة تقسيم السودان، وذلك على ركام حرب داخلية طويلة وقاسية. إثر ذلك، تمّ التسريع من وتيرة هذه العملية مع ولادة الربيع العربي مؤخراً وقيام الثورات في العديد من الدول العربية. هذه الثورات، رغم أنّها ما زالت في بدايتها، أَدَّت إلى نشوب حرب في ليبيا.

في كتابه الجديد، "How to Run the World" أي "كيف ندير العالم" عن دار نشر راندوم هاوس Random House والذي أُصدر قبيل قيام الانتفاضات في تونس ومصر، يتنبّأ باراج خانا Parag Khanna، وهو باحث في مؤسسة أمريكا الجديدة New America Foundation، بوصول عدد الدول المستقلة السيادية في العالم إلى 300 خلال العقود القليلة القادمة بدلاً من 200 دولة اليوم. على أساس هذا الانشطار، قام خانا بتسمية هذه المرحلة "أزمة ما بعد الاستعمار"، معتبراً أنّ العديد من الدول وُلدت من رحم مُستعمرات سابقة، ومنذ استقلالها، شهدت "انفجاراً سكانياً هائلاً" كما عانت من وصول الديكتاتوريات بطمعها وفسادها، فضلاً عن بُنى تحتية ومؤسساتية متداعية، ناهيك عن الصراعات العرقية أو الطائفية. ومن الممكن الاستناد إلى نفس الأسباب عند تفسير هذه التقلبات الفجائية في البلاد العربية.

في كثير من الحالات، يكتب خانا ليقول أنّ الحدود القائمة اليوم هي من أهم مسببات الصراعات الداخلية. فعلى سبيل المثال لا الحصر، ينطبق هذا الأمر على ما يجري في بعض الدول المتخلفة كاليمن، وباكستان، وجمهورية الكونغو الديموقراطية. علاوة على ذلك، يرى خانا أنّ الحرب في أفغانستان وفي العراق ليست حروب أمريكا وحدها، بل أنها بمثابة ذخائر غير منفجرة خلّفتها الحروب الأوروبية، ولكن يبقى فتيل هذه الذخائر عرضةً للاشتعال ولو ببطء.

ليس من العدل أن نسأل أمريكا عن مؤتمر برلين سنة 1884، والذي قسّم أفريقيا دون مراعاة سكانها. وكذلك لا نستطيع لوم أمريكا لجهة قيام بريطانيا بتقسيم باكستان وأفغانستان، بيْد أنّ أمريكا بالتعاون مع القوى الأخرى تستطيع بل يجب أن تساعد اليوم في حلّ المشكلات التي خلقتها هذه التقسيمات. تكمن هذه الحلول ليس فقط برسم حدود جديدة أو التصويت في أروقة الأمم المتحدة، بل بتشييد بنية تحتية تؤمّن لشعوب المنطقة أسس اقتصاديةً سليمة، وستُحررها بالتالي من الاعتماد على الجيران الأقوياء مثل تركيا و"إسرائيل".

في أوائل القرن العشرين، سيطرت القوى الغربية على آسيا وأفريقيا، حيث عثرت على وفرة من الثروات في منطقة الشرق الأوسط. وفي سنة 1916، قام المسؤول البريطاني السيد مارك سايكس Mark Sykes والدبلوماسي الفرنسي فرانسوا جورج بيكو Francois Georges-Picot بالتوقيع على اتفاق مشترك بالنيابة عن حكوماتهما، يقضي بتقسيم مؤقت للإمبراطورية العثمانية التي كانت تحارب إلى جانب ألمانيا ضدّ الحلفاء. لكن وثيقة الاتفاق وخارطته كانتا مجرد نظريات، بل كانت فرص تنفيذهما طفيفة للغاية: عندئذٍ كان الأتراك ما زالوا بعيدين كل البعد عن الهزيمة، في الوقت الذي كانت

الجيوش الغربية تعاني على طول الجبهة الغربية لأوروبا. في جوهر الأمر، قامت حكومتا سايكس وبيكو بمنح سورية وجُزء كبير من فلسطين لفرنسا، ومنح العراق في وقت لاحق لبريطانيا.

في كتابه الرائع سنة 1989 "سلامٌ يُنهي كل سلام A Peace to End All Peace" يصف المؤرخ الأمريكي دايفد فرومكن David Fromkin كيف استطاعت القوى العُظمى رسم خريطة الشرق الأوسط خلال مرحلة الحرب العالمية الأولى وما بعدها. ففي منظاره الخاص، يرى أنّ النزعة المُعادية للساميّة التي يحملها الشعب اليهودي نجحت بطريقة أو بأخرى بالتأثير على هذه القوى، وحرضتها بالتالي على حياكة المؤامرات، مقوّضة بذلك دبلوماسية الدول الغربية والتي عوّلت بدورها على تسخير قوة اليهود بالنيابة عنها.

بُعيْد التوصل لاتّفاق مع بيكو، كان سايكس يهم بالتوجه إلى سان بطرسبيرغ Petersburg، عاصمة الإمبراطورية القيصرية، بغية تقديم تفاصيل الاتفاق للروس الذين لَطالَما أرادوا السيطرة على مدينة إسطنبول، والوصول إلى مياه المتوسط. في طريقه إلى روسيا، اجتمع سايكس بالقبطان وليام ريجينالد هول William Reginald Hall، قائد الاستخبارات البحرية المَلَكية في لندن، حيث أَطلَعهُ على الخريطة. في المقابل، أخبره هول أنّ بريطانيا يجب أن ترسل قواتها إلى فلسطين وعندئذٍ فقط سينتقل العرب للحرب إلى جانبنا. القوة هي أفضل وسيلة للتعامل مع العرب، هذا ما قاله ضابط المخابرات للدبلوماسي، أو باللغة المُتداولة في الخطاب الإسرائيلي اليوم: الشيء الوحيد الذي يفهمه العرب هو القوة.

هنا، اقتنع سايكس أنّ الاتفاق الذي اختلقه مع الفرنسيين سيرضي الشريف حسين، وريث السلالة الهاشمية في الحجاز، والذي كان يسعى لاستقلال شعبه عن الإمبراطورية العثمانية مقابل الحصول على الدعم البريطاني. ثم فاجأ هول جليسه بإدخاله عاملاً جديداً إلى معادلة القوة ألا وهو

اليهود، الذين امتلكوا قاعدة مادية قوية، إلى جانب إظهارهم لمصلحة سياسية قوية في البلاد، على حدّ تعبير هول.

هنا دُهِش سايكس، فهو لم يسمع بالصهيونية قبل الآن. لذا هرع إلى عقد اجتماع مع الوزير اليهودي في وزارة الحرب البريطانية، هيربيرت صموئيل Herbert Samuel، طالباً منه المزيد من التفسير والتوضيح.

هذه كانت بداية عملية أدت لاحقاً إلى إعلان وعد بلفور، وغزو فلسطين، وإعلان الانتداب البريطاني، وتنصيب صموئيل كأول مفوض سامي لديها هناك. عند هذه النقطة، بدأت تُنثر بذور النقمة في قلوب العرب اتجاه هذه القوى الغربية التي قامت بتفكيك ومن ثم إعادة إنشاء أمم ودول جديدة في الشرق الأوسط، وتوجت ذلك بمنح فلسطين للصهاينة.

أما الحدود النهائية للشرق الأوسط، فقد وضعها وينستون تشرشل Winston Churchill، وزير الاستعمار آنذاك، وذلك في مؤتمر القاهرة سنة 1922، والذي فصل شرق الأردن عن حدود ولاية فلسطين، لكن سرعان ما نعى اليمين الإسرائيلي هذا الاقتطاع حتى يومنا هذا.

مع انتهاء عهد الاستعمار، شكلت مسألة المحافظة على هذه الحدود الأسس للأنظمة السياسية في المنطقة، حتى ولو لم تُرضِ الكثير من الشعوب مثل الأكراد الذين تم تقسيمهم ما بين العراق، وتركيا، وسورية، وإيران. وقد تمثلت ردة الفعل العربية تجاه الاستعمار بموقف الرئيس المصري جمال عبد الناصر ومبدأ القومية العربية الشهير، لكنها بلغت ذروتها في توحيد سورية مع مصر وما سُمي لاحقاً "الجمهورية العربية المتحدة" في نهاية الخمسينيات على الرغم من أنها لم تدم طويلاً. والآن بعد مرور مائة عام على المحادثات بين سايكس وبيكو، سيكفل الانسحاب الأمريكي من العراق للأكراد فرصة للاستقلال على الرغم من المعارضة التُركية. من جانبهم، أخذ الفلسطينيون

على عاتقهم السعي للحصول على اعتراف دولي بدولتهم بحلول الصيف القادم على الرغم من الاعتراضات الإسرائيلية أيضاً.

ومن الممكن أن نعاين تفكك داخلي في ما نسميه "الدول الاصطناعية" مثل ليبيا، والتي كانت تتألف من ثلاث مستعمرات إيطالية سابقة، بالإضافة إلى اليمن، وسورية، والأردن، والبحرين، وسلطنة عُمان، والمملكة العربية السعودية. ففي كل من هذه الدول، تتصاعد التوترات الداخلية بشكل جدي بين القبائل والجماعات، أو قيام حكومة أقلية بفرض نفسها على الأكثرية الشعبية. لقد تم تقسيم اليمن في السابق، وربما يعيد التاريخ نفسه، وتنفصل لتصبح دولة في الجنوب، وأخرى في الشمال. بينما في السعودية، تبدو المسافات شاسعة، لكن كيف سيتم تقسيم الأردن؟ علماً أنّ قبائل البدو والفلسطينيين يعيشون في إطار من العيش المُشترك والاندماج. فإعادة رسم الحدود لا يمكنه أن يحصل بعصا ساحر. إلى ذلك، فالحرب التي تدور في ليبيا قسّمت البلاد بحكم الواقع بين برقة، معقل الثُوّار شرقي البلاد من جهة، وطرابلس تحت سيطرة القذافي من جهة أخرى. ودخول القوى الغربية هذه الحرب إلى جانب الثوار يظهر رغبتهم الجامحة في إنشاء مُستعمرة تبقى في مجال نفوذها ومحاذية للحدود مع مصر التي قد تتحول إلى جمهورية إسلامية مُعادية للغرب. أصبح من الصعب إيجاد أي مبرر استراتيجي يسوغ قرار الغرب بالتدخل في الشأن الليبي.

إنّ المعارك بين القوات البريطانية وقوات الجنرال الألماني رومل Rommel خلال الحرب العالمية الثانية دارت في ذات الأماكن، وسعت وراء نفس الغاية: حماية الجناح الشرقي لمصر وقناة السويس. دامت معارك رومل ومونتجومري Montgomery طويلاً قبل اكتشاف حقول النفط في ليبيا.

يفضل الغرب، على غرار "إسرائيل" شرق أوسط مُشرذم ومتصارع، لذا تحارب هذه القوى على عدة جبهات ضد نزعات العروبة والإسلامية المتشددة

التي يقودها كُلٌّ من أسامة بِن لادن، (وبطرق مختلفة، الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، ورئيس الوزراء التركي رجب طيّب أردوجان). لهذا، يمكننا التقدير أنّ الغرب لن يحاول أن يقف حجر عثرة في طريق عمليات التقسيم القائمة في دول المنطقة، بل سيساهم في ذلك.

لا نستطيع تجاهل أنّ "إسرائيل" لاعب أساسي في السعي نحو إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة، وترسيم حدودها. ففي سياق متصل، لن تكون "إسرائيل" بمنأى عن تأثيرات تفكك الدول المجاورة لها، لا سيّما الأردن، وسورية، والمملكة العربية السعودية. فسياسة "إسرائيل" الذكية، والتي تنجح في تحديد الفرص الكامنة لانبثاق دول جديدة، وتدرك كيف تستغل هذه الفرص، ستكون قادرة على احتواء هذه العملية الحتمية من أجل إعادة فرض قوتها ونفوذها في المنطقة بأسرها.

المقال الثاني: العالم الجديد

فرانك جاكوبس و باراج خانا

لقد مضى ما يناهز عشرين عاماً على انهيار الاتحاد السوفييتي، وآخر الإضافات الكبرى على لائحة الدول المستقلة في العالم. بالتزامن مع ترنُّح الجمهوريات الخاضعة لروسيا على الساحة العالمية، ليس مخطئاً مَن يعتقد أنها نهاية التاريخ، والفصل النهائي من بذل الطاقة الثابتة في نظام يتجه الآن نحو التوازن. فمنذ ذلك، قليلون مَن انضموا إلى هذا التحالف، مثل إريتريا، وتيمور، والدول اليوغسلافية السابقة، وغيرهم من الدول. لكن مع بداية القرن الواحد والعشرين، تبدو الخريطة العالمية مُكتملة إلى حدّ كبير على الرغم من أننا نشهد مجدداً ولادة دول جديدة. لكن هذه المرة، لن يكون انبثاق دول جديدة وليد تغير أو صراع سياسي منفرد كما كان حال الانتشار قبل انتهاء مرحلة الاتحاد السوفييتي، ولن يكون هذا الانبثاق مقتصراً على منطقة محددة. إذا كان ولا بدّ، فإن هذه الأمم ترتبط بحقيقة واحدة لا ريب فيها؛ حيث أنّ التاريخ يستطيع أن يطمس معالم كافة الحدود بقدر ما تصنعه الجيولوجيا من إصرار فارغ بشأن هذه الحدود، فالشقق والمنتجعات البحرية في طريقها للانزلاق على هذه المنحدرات الساحلية بفعل التغيرات.

هنا نستعرض خريطة واضحة لما يمكن أن تكون أحدث معالم الحدود الدولية حول العالم:

العلويون ينعزلون

بات من الصعب التنبؤ بما سيكون عليه الوضع في سورية عندما تضع الحرب الأهلية أوزارها. لكن أمراً واحداً لا يخرج عن إطار الشك، هو أنّ بعد شهور من القتال الطائفي الدموي الدائر في سورية، لن تعود هذه الأخيرة إلى سيرتها الأولى. ولربما ستصبح شبيهة بعميلتها السابقة لبنان، حيث الديانات تتنازع حقوقاً لمحتلي أملاك الغير بسبب الفراغ الحالي للحكومة المركزية. وقد تعود سورية مجدداً إلى التقسيم العرقي الذي وضعه الفرنسيون؛ فقد تُصبح خاضعة للتقسيم الآتي: دول منفصلة للدروز والعلويين، ودول منفصلة في مدينتي دمشق وحلب. أما الدولة العلوية، والتي تُعتبر موطن الطائفة المهيمنة في نظام بشار الأسد، سوف تسيطر على المساحات الساحلية والجبلية الخصبة، حيث يبدو أنها الطائفة الأكثر قدرةً على كسب معركتها في بناء دولة منفصلة.

اتحاد الخليج العربي

إنّ التدخل العسكري الذي قامت به السعودية العام الماضي في مملكة البحرين كان كفيلاً بتحويل هذه الجزيرة الصغيرة إلى المقاطعة السعودية الـ 14. في الوقت نفسه، كانت موجات الهجرة والنزوح التي قام بها اليمنيون هرباً من بلدٍ مُكتظ سكانياً وغير فاعل شمالاً نحو المملكة العربية السعودية قد خلقت نوعاً من الاندماج العدائي، لاغياً بذلك كافة الخطوط المصطنعة بين الدولتين، مما أعادنا بالذكرى إلى تاريخ توحيد اليمن الشمالية والجنوبية سنة 1990. على صعيدٍ أشمل، بدأت العائلات الحاكمة العربية السُنيّة بداية هذا العام بالتفكير ملياً في اقتراح لتغيير اسم مجلس التعاون الخليجي وجعله "اتحاد الخليج العربي"، وذلك تأكيداً على حاجتهم لإيجاد اندماج إقليمي أضيق بغية الوقوف في وجه التهديد الإيراني المتصاعد.

كردستان المستقلة

إلى الغرب من إيران، يبقى العراق على شفير الهاوية بالتزامن مع انسحاب القوات الأمريكية، وبقاء الحكم المركزي في بغداد هشاً. في الوقت الذي تغرق فيه سورية في مستنقع الحرب الأهلية، بات من الضروري إعادة رسم الخريطة الكاملة للشرق الأوسط في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى. وعلى مرّ ثلاثة آلاف سنة من تاريخ الأكراد، نادراً ما كانت الفرصة سانحة مثل اليوم من أجل إقامة وطن مستقل خاص بهم في شمال العراق. مما لا شكّ فيه، تتمتع حكومة كُردستان الإقليمية في شمال العراق بأكثر المناطق أمناً واستقراراً في البلاد، حيث ترفع عَلَمها الخاص، فضلاً عن إبرامها صفقات الطاقة والبنى التحتية بنفسها مع الشركات المحلية والتركية كذلك.

أذربيجان الكبرى

قد تفلح إيران يوماً ما بالهيمنة على المنطقة بأسرها، لكنها في الوقت نفسه تبقى عُرضةً لانهيار داخلي. ففي حال أي سقوط موجع للنظام الحالي، قد يَشرَع عشرون مليون من الأذربيجانيين العرقيين شمالي إيران، المُتمركزين حول مدينة تبريز، بالالتحاق بدولة أذربيجان المستقلة أصلاً، مُكوّنين بذلك قوةً إقليمية جديدة بتحالفهم مع قوة إقليمية أكبر، أي تركيا –الأذربيجانيون هم مجموعات تُركية عرقية تتحدث لغة أشبه باللغة التركية. هذا الوضع المُفترض من شأنه أن يُقوّض من قبضة أرمينيا على إقليم ناغورني – كاراباخ Nagorno-Karabakh المُتنازع عليه.

باشتونستان وبلوشستان تأخذان دورهما

إنّ الانسحاب الأمريكي من المنطقة الأفغانية الباكستانية يُخلف وراءه حالة من الفوضى العارمة تذكرنا ببداية التسعينيات. فبغياب شخصيةٍ توافقية تدير أفغانستان بعد الرئيس حامد كرزاي، وبغرق الجارة باكستان في الطائفية وضعف الدولة، قد نشهد ولادة باشتونستان الكبرى عبر خط دوراند Durand الذي يفصل الدولتين. إثر ذلك، ربما نشهد أيضاً على تجديد شعب البلوشستان، الغني بالغاز والذي يعاني من القمع السياسي، نضاله نحو نيل الاستقلال والذي وصل إلى ذروته في السبعينيات.

المقال الثالث: الانفصال قد يكون مفيداً

باراج خانا

من شبه المؤكد أن يشهد هذا العام ولادة دولة جديدة تحت اسم "جنوب السودان". وربما يشهد أيضاً إقامة "دولة فلسطين المستقلة"، إذ يدفع القادة الفلسطينيون نحو الحصول على اعتراف أحادي الجانب بسيادة دولتهم الوطنية ضمن حدود سنة 1967. وفي غضون سنوات قليلة قادمة، قد تتمخض دولة العراق الهشّة أصلاً دولة كُردستان ذات السيادة.

ربما نكون دخلنا مرحلة ولادة دول شاملة: فتخيّل استقلال دولة أوسيتيا Ossetia الجنوبية، ودولة أرض الصومال، وإقليم دارفور أيضاً. علماً أنّ هذه النزعة ليست بجديدة، لكنها تستجمع قواها من أجل جولة جديدة من التغيير. وقد ظهر أحدث كيان مستقل في سنة 2008 عندما انبثق إقليم كوسوفو من جراء تفكك يوغوسلافيا. وإذا عُدنا بالزمن تسع سنوات، أي سنة 1999، نجد استقلال دولة تيمور الشرقية من إندونيسيا.

بسبب تعاظم موجة تقرير المصير، والتي بلغت ذروتها في تحقيق السيادة والاستقلال، يكثر في أيامنا هذه قيام المزيد من الوحدات السياسية المُستقلة والقائمة على مبدأ الحكم الذاتي على نحوٍ غير مسبوق منذ انتهاء العصور الوسطى في الألفية المُنقضية. في غضون عقود قليلة قادمة، ليس مُستبعداً بتاتاً أن يصل عدد دول العالم إلى 300 دولة. علاوة على ذلك، من الواضح أننا نعود تدريجياً إلى عالم العصور الوسطى أيّان انتشار آلاف المجتمعات الطبقية، بدءاً بدول الاتحاد الأوروبي المتجاوزة لحدودها المشتركة، مروراً بالخليج العربي ودوله فائقة التنظيم والسيادة، ووصولاً إلى مجتمعات السكان الأصليين كقبائل الإنيوت Inuit (بعض شعوب الأسكيمو) في كندا

وغرينلاند Greenland. إنّ حالة عدم الاستقرار هذه هي تعبير عن رسم خرائط لظاهرة جيو–سياسية محورية ستترك أثراً سلبياً على أغلبية مناطق أفريقيا، والشرق الأوسط، وآسيا: أزمة ما بعد مرحلة الاستعمار. باستثناء بعض الحالات النادرة، شهدت العديد من المستعمرات التي نالت استقلالها قبل نصف قرن من الآن انفجاراً سكانياً هائلاً، فضلاً عن ظهور الديكتاتورية بطمعها وفسادها، ناهيك عن بُنى تحتية ومؤسساتية مُتداعية، وانقسامات عرقية أو طائفية.

سواءٌ أكانت دول اليمن، أو العراق، أو باكستان، أو جمهورية الكونغو الديموقراطية مؤهلة أو غير مؤهلة عملياً للتصنيف تحت فئة "الدول المتخلفة"، فإن مصائرها مُرتبطة بإرثها الاستعماري.

في الواقع، غالباً ما تشكل مسائل الحدود الأسباب الأعمق خلف صراعات هذه الدول، حيث أنّ هذه الحدود بحاجة ماسّة إلى التعديل. لكن ينبغي أن تُظهر باقي دول العالم قدراً أكبراً من المرونة، وإتاحة الفرصة للشعوب لفعل ذلك.

ربما تكون أوروبا قد أخطأت أول مرة في تقديرها لهذه المسألة، غير أنّ باستطاعة الغرب تقديم الدعم للهيئات الإقليمية القائمة بغية الفصل بين هذه الحدود الجديدة، على مبدأ مساعدة الآخرين من أجل مساعدة أنفسهم في إنجاز هذه العملية.

استناداً إلى هذا المنطق، ليس صحيحاً الجزم بأنّ النقاط الساخنة اليوم كالعراق وأفغانستان هي حرب أمريكا وحدها، بل تُعتبر إلى حدّ كبير بمثابة ذخائر غير منفجرة خلفتها الحروب الأوروبية القديمة هناك، وكأنّ فتيل هذه الذخائر ينتظر الاشتعال ولو ببطء.

في الحقيقة، لم تولي الولايات المتحدة الأمريكية أدنى اهتماماً باتفاقية سايكس بيكو وغيرها من الاتفاقيات التي تمّ بموجبها تقاسُم منطقة شرق

المتوسط بين المَلَكيتين الفرنسية والبريطانية المتحالفتين، وكذلك ينطبق الأمر على مؤتمر برلين Berlin والذي رسم خطاً مستقيماً مشبوهاً على خريطة أفريقيا.

بعض هذه الاتفاقيات العشوائية عمدت إلى خلق تجمعات متضخمّة أو اصطناعية كالسودان الذي جمع حتى وقتنا هذا بين مجموعات مستقلة من العرب، والأفارقة، والمسلمين، والمسيحيين في بلدٍ لا يتجاوز ربع حجم الولايات المتحدة، لكنه يفتقر للروح الوطنية المشتركة أو حتى التوزيع الملائم للموارد من أجل المحافظة على التزامه بالوحدة.

على المقلب الآخر، ذهب الضابط البريطاني هنري مورتيمر دوراند Henry Mortimer Durand إلى الوجه المعاكس للمسألة عندما قسّم خطه الشهير أمة الباشتون ما بين أفغانستان وباكستان.

إنّ عملية رسم الخرائط هذه، بما يعتريها من توترات، ليست تحدياً أمام الولايات المتحدة الأمريكية فحسب، بل ينبغي أن تغتنم القوى المؤثرة في العالم كما الدبلوماسيون هذه الفرصة الذهبية بوجود أسس معنوية مؤاتية من أجل الموافقة على التطبيق الحذق لتوصيات الرئيس الأمريكي ودرو ولسن Woodrow Wilson's الخاصة بدعمه لحق الشعوب بتقرير مصيرها بنفسها. سيُمسي هذا تحسناً ملحوظاً في النظام المُخصص اليوم لدعم الحلفاء ذي السُمعة السيئة، أو الجمع بين الائتلافات غير القابلة للتنفيذ، أو ببساطة التطلع إلى حلّ هذه التحالفات بشكل منظم.

لا بدّ من إعادة التأكيد أنّ مبدأ تقرير المصير من شأنه إظهار نوعاً ما من الحنكة السياسية الحقيقية التي نفتقدها على الساحة العالمية اليوم.

في السودان، نجحت الولايات المتحدة بشكل واضح في وضع نفسها على الجانب الصحيح من هذا التوجه القائم، حيث كانت من أبرز المبتكرين

للاستفتاء المُصادَق عليه دولياً، والذي من المُرجّح أن يُسفر عن استقلال جنوب السودان، موضحاً بذلك أنّ الانفصال النهائي ليس مؤامرةً تقودها الولايات المتحدة لتقسيم وشرذمة العالم العربي الإسلامي. هذه العملية القانونية البحتة تمنح غطاءاً للصين لتعديل سياساتها بإيجاد توازنٍ ما بين إيقاف دعمها لنظام عُمر حسن البشير في الخرطوم من جهة، وذلك بالتزامن مع تقوية أواصر علاقاتها مع حكومة الجنوب في جوبا من جهة أخرى، والتي تعهدت بدورها منح الأولوية لإبرام العقود مع مؤسسة النفط الوطنية الصينية. والجدير ذكره، أنّ ستين بالمئة من صادرات النفط السودانية تذهب إلى الصين وحدها حالياً.

لكن هناك توجهاً أكبر لفسح المجال أمام ولادة دول جديدة عوضاً عن منع خصوم الجوار من غزو بعضها بعضاً، وهذا يبقى على رأس الاهتمامات. فالدول الثلاثة هذه، أي جنوب السودان، وفلسطين، وكُردستان، ستُصبح حتماً معزولةً عن الساحل، وأكثر حساسيةً إلاّ إذا تمّ تجهيزها ببنية تحتية جيدة تربطها مع الأسواق الخارجية. إلى جانب أنابيب النفط القائمة بين شمال السودان وجنوبه، يحتاج هذا الأخير إلى أنابيب جديدة تمتد عبر كينيا إلى المحيط الهندي، وبالتالي، فتح معابر تصدير إضافية. وعلى غرار ذلك، تبحث كُردستان عن مدّ أنابيب عبر تركيا وسورية إلى أوروبا والبحر المتوسط. أما فلسطين، فتلهث وراء الاستفادة من مقترحات مؤسسة راند Rand بتطوير شبكة من الطرق والسكك الحديدية التي تربط الضفة الغربية بغزة في وحدة متكاملة.

لعل هذه الروابط مع العالم الخارجي تُعتبر بمثابة سياسات حماية وتأمين بوجه اعتماد هذه الدول الثلاثة أو حتى انقيادها لهيمنة الدول المجاورة، سواءٌ أكانت السودان، أو العراق، أو تركيا أو "إسرائيل" على التوالي. في حين يظل البيت الأبيض مُنشغلاً بهاجس تقديم الضمانات الأمنية لـ"إسرائيل" التي ترتكز على إيماءات فارغة أو قصيرة الأمد لجهة

إظهار حسن النية، يبقى إرساء البنية التحتية هو الشرط الأساس للتعايش السلمي. فبناء أي أمة هو أمرٌ مادي بقدر ما هو مؤسساتي، واستقلال بلا بنية تحتية يستحيل تحقيقه. إنّ مرحلة التقهقر التي تلت زمن الاستعمار لا يبدو أنها ستنتهي قريباً. فدول كالكونغو، ونيجيريا، وباكستان، والتي تُعتبر مترامية الأطراف داخلياً، وغالباً ما تعاني من تنمية غير متوازنة مقصودة، ستصبح قريباً أكبر من أن تستطيع استيعاب نفسها. ومن غير المُرجح أن تقدر بالتالي على استجماع الكفاءة، والقدرة، والإرادة بغية التحاقها بركب الدول المتقدمة، بل ستواصل في إلهام تحمل مخلفات الحكم المركزي السيئ.

يجب أن تُنفذ كل الانقسامات القادمة بالترافق مع تطبيق مزيج من سياسة المشرط والفأس، أي بالمرونة والقسوة معاً، وفوق كل ذلك، يجب أن يدرك العالم أنّ هذه الانقسامات لا مفر منها. إن ردة فعلنا في الخوف من حدوث تغيرات على الخريطة العالمية بعيداً عن قلقنا من العنف المحتمل، أو اضطرارنا إلى معرفة أسماء الدول الجديدة. لكن في زمنٍ تستطيع فيه أي جماعة أن تكتسب أدوات المقاومة العنفية، يبقى البديل الوحيد لتقرير المصير يتمثل في الصراع الدائم. بعد حملات الإبادة الجماعية كالتي قادها صدام حسين ضدّ الأكراد، وعمليات القمع الوحشية التي قامت بها صربيا ضدّ ألبان كوسوفو Kosovars، بات من المستحيل تصور فكرة تعايش هذه الجماعات في ظلّ حكومة واحدة. بدلاً عن التأخير، ينبغي التأكيد على الإيجابية الدبلوماسية في هذا الإطار، فالانقسامات السريعة يمكنها أن تؤدي إلى نتائج أكثر ودية، على غرار "الانفصال المخملي" بين جمهورية التشيك وسلوفاكيا سنة 1993. فكِلا الدولتين هما عضوين الآن في الاتحاد الأوروبي، حيث يحترم كلٌّ منهما حدود الآخر حتى ولو كانت هذه الحدود غير ضرورية حالياً.

في نهاية المطاف، لا بدّ أن نكون قد سئمنا الوضع الراهن من المحافظة ومقاومة التغيير بدافع مخاوف أنانية غير مُبررة. هذا وقد عارضت روسيا والصين بشكل حاسم استقلال إقليم كوسوفو، وذلك خدمة لمصالحها شبه الإمبريالية، لكن هل لحكومة سيادية في بريستينا Pristina أن تُقوّض القبضة الحديدية الروسية على جمهورية الشيشان؟!أو حتى هيمنة الصين على إقليم التيبت؟!

كلٌ من الصراعات الإقليمية يحمل مزيجاً خاصاً من الظروف التاريخية، والجغرافية، والدبلوماسية والتي من شأنها أن تولّد حلولاً فريدة. غير أنّ هناك أمراً واحداً يمكن تأكيده وهو أنّ السبيل الوحيد نحو إيجاد عالم مسالم لا تحده أي حدود يبدأ سخريةً بالسماح للمزيد من الأمم للتعريف عن وجودها وحدودها. فلاحقاً، ولاحقاً فقط، هل سيأتي الوقت الذي ستبحث فيه هذه الأمم عن الانفتاح والاندماج مع باقي دول العالم. وبذلك، تكون الانقسامات أحياناً السبل المُثلى نحو تكوين صداقات أفضل.

المقال الرابع: حدود الدم

رالف بيترز

إن أكثر الحدود جوراً وعشوائية هي تلك التي في أفريقيا والشرق الأوسط. وقد قام برسم الحدود الأفريقية أوروبيون انتهازيون (لا يعرفون حدود دولهم الأصلية على وجه الدقة)، هذه الحدود التي ما تزال مستمرة في قتل الملايين من شعوب الدول المتجاورة. أما الحدود الجائرة في الشرق الأوسط –والتي رسمها تشرشل– فقد أدت إلى كمٍّ كبير من المشاكل يفوق ما تتحمله شعوب هذه المنطقة.

وبالطبع، لا يمكن لأية عملية تعديل في الحدود –مهما كانت قاسية– أن ترضي أية أقلية في الشرق الأوسط. ففي بعض الحالات، تعيش المجموعات العرقية والدينية جنباً إلى جنب وتتزاوج في ما بينها. وفي أماكن أخرى، لا يبدو بأن المجموعات المتحدة على أساس العرق أو الدين تنعم بالبهجة التي يتوقعها الداعون إلى مثل هذه الاتحادات.

أما الآن، فإن تجاهل كل هذا الكم من الجور في الحدود، وعدم مراجعتها بصورة جوهرية، سيؤدي إلى أن هذه المنطقة لن تنعم بحالة من السلام تتفوق على ما نشهده حالياً.

وحتى أولئك الذين يمقتون مسألة تغيير الحدود، سينخرطون بفعالية في إعطاء تصور أكثر عدلاً، إن بقي الحل ناقصاً، في عملية تعديل الحدود العالمية في المنطقة الممتدة بين مضيق البوسفور ووادي السند. وإذا قبلنا بفكرة عدم قيام الفكر السياسي الدولي بتطوير الأدوات الفعالة غير الحربية لإعادة ضبط الحدود الخاطئة، فإن الجهد العقلي المبذول للإحاطة بالحدود الحقيقة سيساعدنا –على الرغم من ذلك– في إدراك مدى

الصعوبات التي نواجهها –وسنظل نواجهها– في هذا المجال. إننا نتعامل هنا مع تشوهات هائلة صنعها الإنسان بيده، وهذه التشوهات ما تزال مستمرة في توليد الحقد والكراهية ما لم يتم تصحيحها.

سأبدأ بالحدود التي يتحسس لها القارئ الأمريكي بشكل أكبر: فمن أجل منح "إسرائيل" أي أمل بحالة معقولة من السلام مع جيرانها، يجب عليها أن ترجع إلى حدود ما قبل حرب 1967، مع تعديلات موضعية ضرورية في ما يختص بالاحتياطات الأمنية المشروعة. لكن في ما يختص بقضية القدس ذات التاريخ المخضب بالدماء، فقد يحتاج الأمر لتحله الأجيال القادمة.

إن الجور الأكبر في الرقعة المظلومة الشهيرة الممتدة من جبال البلقان إلى جبال الهمالايا يتمثل في غياب وجود دولة كردية مستقلة. فهناك حوالي 27-36 مليون كردي يعيشون في مناطق متجاورة في الشرق الأوسط (الأرقام غير دقيقة لأن الدول التي يعيش فيها الأكراد لم تسمح بإجراء إحصاء نزيه). وبما أن عدد الأكراد يتجاوز عدد الشعب العراقي، فإنه حتى التقدير الأقل لعدد الأكراد يجعلهم أكبر عرقية لا تتمتع بدولتها الخاصة على مستوى العالم. وأسوأ من ذلك: أن الأكراد تعرضوا للاضطهاد من كل حكومة سيطرت على هضباتهم وجبالهم منذ أيام الاحتلال الفارسي للمنطقة.

لقد أهدرت الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها فرصة ثمينة للبدء في تصحيح هذا الجور بعد سقوط بغداد. فالمسخ الذي سيتكون من خياطة أجزاء غير متطابقة، سيؤدي بالعراق إلى الانقسام فوراً إلى ثلاث دول.

بينما خفت سيطرة أنقرة على الأكراد في العقد الماضي. فإن الاضطهاد عاد ليشتد على الأكراد حالياً وبدا الخمس الشرقي من تركيا وكأنه منطقة محتلة. أما بالنسبة للأكراد في سورية وإيران، فسيهرعون للانضمام إلى كردستان المستقلة إن استطاعوا.

إن كردستان الحرة، الممتدة من ديار بكر إلى تبريز، ستكون أكثر الدول دعماً للسياسة الغربية في الرقعة الممتدة من بلغاريا إلى اليابان.

إن تعديلاً منصفاً في حدود المنطقة سيترك المحافظات العراقية السنية الثلاث في دولة مقتطعة قد تتحد مع مرور الوقت بسورية التي ستفقد شريطها الساحلي لصالح لبنان الكبير ذي التوجه المتوسطي (ولادة الإمبراطورية الفينيقية من جديد). أما الجنوب الشيعي في العراق القديم فسيشكل أساس الدولة الشيعية العربية التي ستحف بالخليج العربي. وستحتفظ الأردن بمناطقها الحالية، مع بعض التوسع باتجاه الجنوب على حساب المملكة العربية السعودية. ومن جانبها ستعاني السعودية –وهي دولة مصطنعة– من تجريدها من مناطقها بنفس القدر الذي ستعانيه باكستان.

إن أحد الأسباب الأساسية للخيبة الإسلامية الواسعة يكمن في تعامل العائلة المالكة السعودية مع مكة والمدينة بوصفهما ملكاً خاصاً لهم. إن تزايد ثروة السعوديين، وبالتالي، تزايد نفوذهم كان أسوأ شيء حدث للعالم الإسلامي منذ وفاة النبي [ﷺ]، وأسوأ شيء حدث للعرب منذ الغزو العثماني (إن لم يكن الغزو المغولي).

كم سيكون ملائماً للعالم الإسلامي حينما تدار شؤون مكة والمدينة من خلال مجلس تداولي يتكون من ممثلين عن أكبر المدارس والحركات الإسلامية العالمية ضمن دولة مقدسة إسلامية –نموذج إسلامي ضخم عن الفاتيكان– حيث سيكون مستقبل دين عظيم محل نقاش لا مجرد إلزام. إن العدل الحقيقي –الذي ربما لن نحبه– سيمنح حقول النفط الساحلية في السعودية إلى الشيعة العرب الذين تقع هذه الحقول في منطقتهم، بينما سيذهب الربع الجنوبي الغربي لليمن. وسيقتصر حكم آل سعود على البقية المتمثلة في المنطقة السعودية المحيطة بالرياض، وبذلك سيكونون قادرين على إلحاق أذى أقل بالإسلام والعالم.

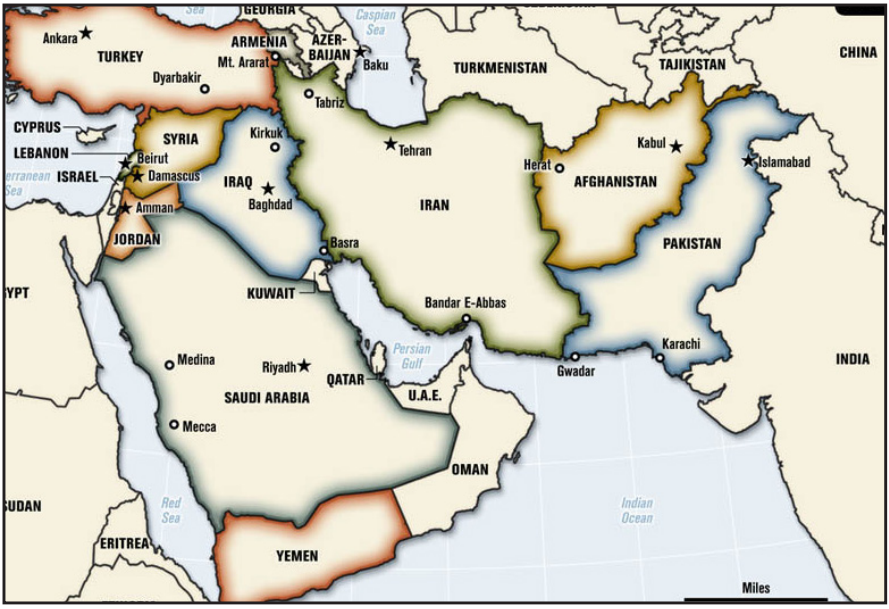

إيران، وهي دولة ذات حدود عشوائية، ستخسر جزءاً كبيراً من أراضيها لصالح أذربيجان الموحدة، وكردستان الحرة، والدولة الشيعية العربية، وبلوشستان الحرة. لكنها ستكسب المحافظات المحيطة بمنطقة هرات في أفغانستان الحالية، وهي منطقة ترتبط بصلة وثيقة مع بلاد فارس تاريخياً ولغوياً. وفي الواقع، ستصبح إيران دولة للعرق الفارسي مرة أخرى.

إن ما ستخسره أفغانستان لصالح الدولة الفارسية غرباً، ستكسبه من جهة الشرق، حيث سيعود اتحاد القبائل القاطنة شمال غرب باكستان مع إخوانهم في أفغانستان. إن باكستان –وهي دولة مصطنعة أخرى– ستفقد منطقة البلوش لصالح بلوشستان الحرة. أما باكستان "الطبيعية" التي ستتبقى في نهاية الأمر، فستتموضع بكاملها شرق نهر السند، ما عدا نتوءاً متجهاً للغرب بالقرب من كراتشي.

أما دولة الإمارات العربية المتحدة فسيكون لها مصير مختلط، كما هو حالها الآن. فبعض الإمارات قد ينضم للدولة الشيعية العربية مما يعطيها المزيد من السيطرة على الخليج العربي. أما الكويت وعمان فستحتفظان بحدودهما الحالية.

في كل حالة من الحالات، تتبدى خلال العملية الافتراضية لإعادة رسم الحدود صلات عرقية أو شعور طائفي. ويمكننا الآن أن نقارن الخريطتين المرفقتين (الحدود الحالية والحدود المقترحة) لنشعر شيئاً ما بالأخطاء الكبيرة التي تحفل بها الحدود الحالية.

إن تصحيح الحدود بشكل تعكس فيه قدرة الشعوب، هو أمر قد يكون مستحيلاً اليوم. ولكن لأمد ما، وما يرافقه من دماء لن يمكن الحيلولة دون سفكها، ستنبثق حدود جديدة طبيعية. ولنتذكر: لقد سقطت إمبراطورية بابل أكثر من مرة.

وإلى أن يحين ذلك، سيستمر جيشنا في قتال الإرهاب من أجل أمننا، ومن أجل السعي نحو الديموقراطية وإيجاد ممر إلى النفط في منطقة كان قدرها أن تتقاتل في ما بينها.

إذا لم يكن ممكناً تعديل حدود الشرق الأوسط الكبير بحيث تعكس الروابط الطبيعية المستندة إلى الدم والعقيدة، فيجب أن نتقبل حقيقة تنص على أن جزءاً من الدم المسفوح في هذه المنطقة سيكون على حسابنا نحن الأمريكيين.

تقسيم المقسم وتفتيت المفتت هو ما تتنبأ به أربع مقالات صدرت في الآونة الأخيرة. فبعد برنارد لويس وخريطته المقترحة في سنة 1979 لإعادة تقسيم المنطقة، جاء رالف بيترز ليكمل المسير وثم تبعه باراج خانا وتنبأ بتقسيمات أخرى...

هذا العدد يحوي أربع مقالات تناقش كيفية إعادة رسم خريطة أجزاء من العالم. فالانتفاضات الشعبية المتصاعدة، والصراعات الداخلية الطاحنة قد تؤدي إلى إعادة رسم خرائط إقليمية... وبالتالي قد تتشكل دول جديدة حول العالم؛ دولة للعلويين، واتحاد الخليج العربي، وكردستان المستقلة، وأذربيجان الكبرى، وباشتونستان وبلوشستان...

وقد يختلف البعض في كيفية تقسيم المنطقة، إلا أنه يراها ضرورية لحلّ بعضاً من مسائل "الحدود الفاسدة" والتي ستعوّض "المجموعات البشرية المخدوعة"...

إنه من اللافت للنظر صدور هذه المقالات في حقبة زمنية تشهد تغييرات جذرية في المنطقة.. وبالتالي يجدر بمراكز الأبحاث أن تتابع هكذا طروحات، للتحقّق من مدى جديتها في الفكر الصهيوني والغربي، وفي مسارات عملها الاستراتيجي.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.:14-5034 بيروت – لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
www.alzaytouna.net | info@alzaytouna.net